الدرس الرابـع/ نقـد القصـة عند "عبـد اللـه ركيبـي" :

أولا / نقـد مضمـون القصـــة:

1- المضمون الإصلاحي: لقد أولى"عبد الله ركيبي" أهمية كبيرة للجانب الإصلاحي خلال نقده للقصة على خلاف الجوانب الأخرى، ويتمثل ذلك من خلال دراسته لنماذج قصصية.

أ- المقال القصصي: نجده يركز على وظيفة المقال القصصي ومضمونه، ولم يركز على تحديد اختلافه عن الأجناس الأدبية الأخرى، فقد عرفه بقوله:<< أما من ناحية الشكل فهو مزيج من المقالة والرواية والمقال الأدبي والديني والإصلاحي>>ووظيفة المقال القصصي الإصلاحي الأدبي فقال عنه << أنّ الدافع إليه لم يكن أدبيًا فنيًا، بقدر ما كان خدمة للدعوة الإصلاحية، وشرحها بأسلوب قصصي جذاب، يُمكّن القارئ من استيعابها وهضمها، فكان التركيز فيه أولاً على الدعوة إلى الدين وشجب الأوهام والانحرافات..>>. معناه أن الغاية الأولى للمقال القصصي هو الإصلاح، وهو ما دفع بكتَّاب هذا النوع من المقال إلى إهمال الجانب الفني الجمالي.

ب- الصورة القصصية : وقد حدّد بعض ملامحها قائلا:<< إنّها أشبه ما تكون بلوحة تتصل بالواقع وتسجله تسجيلا آليا، لا فن فيه ولا اختيار ولا صنعة، وإن كان قد توفر في قليل منها بعض عناصر القصة>>، فهو يبرز من خلال تعريفه هذا إلى أنّ كُتّاب الصورة القصصية بعيدون عن مفهوم الواقعية الفنية، والفن الحقيقي، وهو بذلك تشكيل جديد لهذا الواقع، وذلك وفق إحساس القاص به، وليس تبعًا لعَيْنه المجردة.

و يرى"عبد الله ركيبي" أن كُتّاب الصورة القصصية، يلجؤون إلى أسلوب الوعظ والوصف من الخارج، بدل لمس صميم النفس البشرية، وهذا ما جعل كتاباتهم تتسم بالسطحية، ويعزي ذلك إلى عدم وعيهم بأصول الفن القصصي، ودليله على ذلك التعصب لأرائهم دون الاهتمام بالأحداث والوقائع التي تؤدي إلى تلك الآراء.

ويرى "عبد الله ركيبي" أنّ أول صورة قصصية ظهرت هي(**قصة عائشة)** لمحمد السعيد الزاهري، من مجموعته القصصية (الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير)، وتدور أحداثها حول (رجل جزائري من أم فرنسية وأب عربي، فنشأ في تلك البيئة المزدوجة وتأثر تفكيره وسلوكه بها، فتزوج بفرنسية وله صديق استطاع بأفكاره الإصلاحية أن يؤثر فيه وفي زوجه، وتعتنق هي الأخرى الإسلام، وذلك نتيجة اللقاءات والمناقشات التي دارت بينهم حول الإسلام والقرآن...). فالصورة القصصية هنا تخلو من الحوار، وما هي إلا وصف وسرد للحوادث في استرسال دون تقيد بالبداية أو تطور الحدث، فعدم الاعتناء بالبناء القصصي يبدو في القفز من حادثة إلى أخرى أو من فكرة إلى أخرى حسب نقد "عبد الله ركيبي" للقصة. ومما يحسب للناقد" عبد الله ركيبي" في نقده لفن الصورة القصصية، هو أنه تمكن من التوفيق بين دراسته للمضامين، دون إغفال الجانب الفني، فقد أبرز تأثير الفكر الإصلاحي في تكوين ثقافة المؤلف هذا من ناحية، وتحديد البناء الفني من ناحية أخرى.

2- المضمون الثوري: لقد كان للثورة التحريرية الكبرى أثر كبير في دفع عجلة التطور للحركة الأدبية، وخاصة الفن القصصي في الجزائر، وذلك من ناحية الشكل والمضمون.

أ- فعلى" مستوى الشكل الفني": استعمل الأدباء الجزائريون في أيام الثورة التحريرية أشكالاً قصصية عديدة، وقد وظفوا فيها أساليب جيدة للتعبير عن أفكارهم وآرائهم ومشاعرهم، وأحداث بلادهم، كما اكتشفوا أنها تملك قدرًا كبيرا من أدوات التعبير الفني التي تُمكّنُهم من تصوير المعارك ن وكفاح الشعب ومهاجمة قوات الجيش الفرنسي. ولقد اتصفت قصص تلك الفترة بعناصر فنية كالإيحاء والرمز والابتعاد عن الأسلوب الخطابي وعن الأسلوب المباشر في السرد، واهتم الكُتّاب ببناء الشخصية، فلم تعد الشخصية ذات بُعد واحد، إمّا رمزا للخير، وإمّا رمزا للشر، على نحو ما كانت عليه في القصة الإصلاحية، وإنّما صارت تعبر عن الحياة الإنسانية وحقيقتها، حيث يمتزج فيها الخير والشر وعلى سبيل المثال قصة (الجندي والليل) لعبد الحميد بن هدوقة.

ب- على مستوى المضمون: أثرت الثورة التحريرية في مضمون القصة، بما لا يقل عن أثرها في الشكل، فقد تقلصت الموضوعات الإصلاحية، وخلفتها موضوعات جديدة استلهمت من الواقع، فكثر وصف صمود وتحدي الشعب الجزائري أمام قوى المستعمر وتصوير بطولات وتضحيات المناضلين، والتعبير عن الحياة الاجتماعية الجديدة.. . ويرى ناقدنا "عبد الله ركيبي" أن موضوع الثورة قد انبثق عنه عدة قضايا فرعية كالهجرة والغربة والحنين للوطن...، وهذا ما جعل الثورة قوة فعالة في صياغة الحياة الجزائرية وكذا تنمية القيم وتقدم المجتمع، وهنا تبرز أهمية الفن القصصي والدور الأساسي الذي يؤديه القاص، وهو مساهمة في عملية التغيير التي كان يسعى إليها المواطن الجزائري، فكان يعمد إلى كشف المشاكل ويقترح حلولها.

ثانيا/ النقد الفني للقصة عند "عبد الله ركيبي":

1- الأساليب القصصية: لقد عزَا الناقد "عبد الله ركيبي" الأسلوب المباشر الذي امتازت به الأنماط السردية الأولية إلى طبيعة المواضيع الإصلاحية والثورية وكذا الاجتماعية، حيث يرى الناقد بأنّ القاص يولي اهتمامه بالدرجة الأولى بعرض لأفكاره دون العناية بالأسلوب، وينسب ذلك إلى كاتب القصة أنّه أديب متعصب لأفكاره. ومن هنا نلاحظ أنّ "ركيبي" كان يدعو إلى الكتابة بأسلوب فني والابتعاد عن السطحية، مثل دراسته لأسلوب" أبو العيد دودو" في قصة (الفجر الجديد). ويجد" ركيبي" في هذه القصة استرسال في السرد يتضمن بعض الحركة والإيحاء، والحوار لم ينجو من الخطابية، وتضمن في بعض الأحيان تفلسف كوصف لباس الزوجة وما تفعله في بيتها، وكذا وصف لقاء زوجها مع الجنود الذين صعد معهم إلى الجبل، وهذا ما يضعف تركيز القصة ووحدتها.

فـ"عبد الله ركيبي"، أدرك أهمية الأسلوب وتقنياته في نجاح القصة ومدى تفاعل القارئ معها، فالقصة تمثل صورة مكثفة تمنح القارئ شعورا مزدوجًا أولاً في البناء وثانيًا في تشكيل الأحداث والصور التي يغفل عنها القاص نفسه. والنقد الحديث من متطلباته كما يرى " ركيبي" الاهتمام بالجوانب الفنية والأسلوبية، فإنّ وظيفتها في نظره هو توطيد العلاقة بين العناصر الفنية المختلفة من ناحية، وفي إبرازها التي يجب أن يهتم بها القاص في رسمه للشخصية القصصية من ناحية أخرى.

2- **الشخصيات القصصية:** لقد أولى ناقدنا " ركيبي" الشخصية القصصية أهمية كبرى معتبرًا إيَّاها أهم عناصر القصة القصيرة، فعمد إلى تحديد العلاقة بين الشخصية القصصية والصورة القصصية وإبراز خصوصياتها ليؤكد بأنّ<< القاص يعتمد فيها إما على الوصف السطحي والبعد الاجتماعي الخارجي، وإمّا يهتم بالحدث ويركز عليه مهملاً بذلك الشخصية القصصية >>. إنّ "عبد الله ركيبي" ينطلق من رؤيته الواقعية للنقد القصصي، فهو يوجب على القاص مشاركة القارئ في قضاياه الاجتماعية والإنسانية، ويصر على أن تكون الشخصية مرتبطة بعلاقات اجتماعية ولا ننسى الجوانب النفسية، وهذا كله لا يتأتى للقاص إلّا بثقافة واسعة.

والشخصية في القصة لا يكتفي القاص برسمها، بل عليه أن يهتم بالحوار والسرد والحدث، فالحوار يقتضي الحركة والديناميكية، وخاصة منه الجانب الداخلي، وهذا يمنح الفرص للقاص لرسم الأبعاد الشعورية واللاشعورية لتلك الشخصية، ف" ركيبي" يدعو للالتزام بالحوار الجيد ليكون في مستوى الشخصية، ولا بدّ أن يتصف بالعفوية والبعد عن التكلف ويكون مشابهًا للحياة الواقعية.

كما أن ناقدنا رسم للشخصية القصصية جانبان هما: جانب إيجابي وآخر سلبي، فالأول يعني الحركة والتفاعل مع الأحداث، والثاني يرمز إلى الكسل والخمول، وبرر له الناقد " محمد مصايف" لجوءه إلى مصطلحي الإيجابية والسلبية لتأثره بنظرية (التفاؤل والتشاؤم) التي عرفت في المذهب الرومانسي الغربي.